الفصل الثالث

الإنسان ، الثقافة ، الشخصية

الانسان صانع الثقافة ومصنوع بها :

تعد الثقافة فى نفس الوقت من صنع يدى الإنسان وشرطاً للحياة الإنسانية . فالإنسان يخلق الثقافة ، ولكن الثقافة بدورها هى التى تصنع الإنسان . وإذا كنت تشك فى هذا فانظر إلى طفلك . فعلى الرغم من أنه يعتمد بالكلية على الآخرين ، فان الطفل الصغير لا يكون مقيداً فى انفعالاته كما أنه يكون غير اجتماعى على الإطلاق ، وعاجزاً عن استخدام ممتلكاته . وهو ينشد الإشباع السريع ، وهو ينشد ما يرضيه بسرعة واستمرار حيث إنه لايستطيع التطلع إلى أى مستقبل . بيد أنه يصير راشداً مفعماً برغبات ومكروهات ، وقادراً على أخذ دوره فى الحياة الخاصة بمجتمع مركب .

ومما يجعل هذا ممكناً هو التثقيف أوتشرب الثقافة ، وهى عملية يتشرب الشخص بوساطتها أنماط الفكر والتصرف والإحساس التى تشكل ثقافته [1] ويسلك الأطفال الذين نشأوا على أيدى حيوانات كالحيوانات على الرغم من أنهم إذا ما استردوا صغاراً بدرجة كافية ، فان قدراتهم الإنسانية قد يتسنى أيضاً تحقيقها . فالتثقيف وحده هو الذى يحيل الإنسان بوصفة كائناً بيولوجياً إلى إنسان معترف بانسانيته . [2] .

وخلال الطفولة والشباب يعمل التثقيف على ترسيخ الثقافة لأنه يغرس عادات مقبولة اجتماعياً فى الشخصية النامية . وهو فى الطفولة يعمل غالباً على تشجيع التغير حيث إن كثيراً من أشكال السلوك التى تستدعى التثقيف من جانب الراشد تكون على الأرجح جديدة ليس فقط بالنسبة له بل أيضاً بالنسبة للثقافة . يقول هرسكوفتش بهذا الصدد :

إن الاختلاف بين طبيعة الخبرة التثقيفية فى السنوات الأولى من الحياة وبعدها هو أن المدى من القبول أو الرفض الشعورى بوساطة أحد الأفراد إنما يتزايد باستمرار كلما تقدم فى العمر . وبمرور الوقت فانه يكون قد وصل إلى النضج ، رجلا كان أو امرأة ، وقد تكيف بحيث يتحرك بسهولة فى نطاق حدود السلوك المقبول التى وضعتها جماعته . ولذا فان أشكال السلوك الجديدة المقـــدمة إليه هى بصفة أساسية تلك المتضمنة فى التغير الثقافى — الاختراعات أو المكتشفات الجديدة ، والأفكار الجديدة التى تشيع من خارج مجتمعه والتى يكون على الفرد كفرد أن « يتخذ موقفاً » وبذا يلعب دوره فى توجيه ثقافته .. وتثقيف الفرد خلال سنوات عمره المبكرة هو الوسيلة الأساسية المؤدية إلى الاستقرار الثقافى ، بينما تكون العملية ، حال اعتمالها مع قوم أكثر نضجاً ، أكثر أهمية فى إحداث التغير[٣].

ومع هذا فان هذه النقطة يمكن الامتداد بها ، ذلك أن كثيراً من تثقيف الكبار هو أيضاً نتيجة الحركة فى قطاعات أخرى من الثقافة القائمة وهى ترجع احتمالا إلى التغير بالبيت أو المكانة الاجتماعية (كالزواج مثلا) أو الطبقة أو المهنة .

وواضح أنه كلما كان الطفل أكثر تثقيفاً وأعمق تشرباً بعادات الثقافة كلما كان أكثر ميلا إلى أن يكون راشداً صارماً . ومن ثم تظهر أهمية التدرب على الحكم المستقل والنقدى منذ سنيه الأولى وبخاصة بمجتمع ديموقراطى سريع التغير إذا كنا نريد تشجيع التفتح العقلى والمرونة [٤] .

ولقد جهزت الطبيعة الحيوان تجهيزاً تاماً للحياة ، فتنشئته لا تعدو عن الإسراع بنمو الغرائز التى سبق أن حصل عليها بالفعل وبسرعة أكثر . ولكن الاستعدادات اللازمة للحياة بين الناس معقدة جداً بحيث لا يمكن نقلها بالوراثة ، ويجب لذلك أن يتم تعلمها من جديد بوساطة كل جيل. نعم إن الإنسان لديه استعدادات معينة فطرية — لحفظ الذات مثلا ، ولإشباع

الجوع والجنس – ولكنها استعدادات عامة وفجة ، ويجب أن يتعلم كيف يكملها على نحو مرض [٥] .

إذن فالثقافة تتخلل حيواتنا المستيقظة . وهى تدخل حتى فى نطاق نومنا فى الوضع الذى نتخذه وفى مضمون أحلامنا[٦]. وحتى الطفل الصغير الذى لم يجاوز أسابيع قليلة من العمر لا يستجيب لموقف ما من جديد تماماً وقليل من الخبرات الإنسانية يمكن أن تفسر برمتها فى ضوء التكوين البيولوجى للشخص أو فى ضوء تاريخه أو فى ضوء حالته بالذات ، والواقع أن كل خبرة فى حياته تستحدث فى الواقع جزءاً مما اكتسبه من ثقافته .

والثقافة تشكلنا عقلياً وانفعالياً وحتى جسمياً. وهى تكيف حتى سماتنا الجسمية كالإيماءات وتعبيرات الوجه وطرق المشى والجلوس والأكل والنوم . فالراشدون الغربيون عندما يتوقفون عن الوقوف أو التجول فانهم بوجه عام يجلسون على كراسى أو مقعد أو أرائك . ولسوف نجد أن من الصعب إلى حد بعيد أن نجثم على الأرض أو أن نجلس القرفصاء لأية فترة من الزمن ، أو أن نجلس سواء بمد الساقين فى اتجاه مستقيم أمامنا أو على كرسى بلا ظهر منخفض، وكذا فاننا لا نستطيع أن نسترخى بالوقوف على ساق واحدة ونسند الساق الأخرى على الركبة كعادة بعض قبائل نياوتيك بأفريقيا . ومع هذا ففى الهند تضطلع نساء القرية بأعمالهن المنزلية وهن جالسات أو وهن جاثمات على الأرض ، وحتى وقت قريب باليابان كانت النساء يعملن ويستزاورن وهن إما راكعات وإما جالسات على أعقابهن .

وتحدد الثقافة نوع الانفعالات التى يمكن التعبير عنها بوساطة من وأين وكيف . وفى أمريكا اليوم يسمح للرجال أن يكونوا أكثر عدوانية من النساء ، وفى العلاقات الجنسية يتوقع منهم أن يتخذوا موقف المبادرة . ولقد لايعلن عن الكراهية بشكل علنى إلا فى الحروب أو الألعاب الرياضية

أو فى مواقف غير عادية جداً . ومن جهة أخرى فان الدافع إلى النجاح ولكسب المال قد يعبر عنه علانية بالفعل دون قيد [٧] .

وقد تقدر الثقافات المختلفة — ونفس الثقافة فى حقبات مختلفة — الانفعالات المتساوية بشكل مختلف جداً [٨] .

قارن بين طرق المعاملة الحرة والسهلة لدى الأمريكى الحديث وبين التقييد الذاتى المتطرف لدى الهندى المنومينى أو التطهرية لدى سكان نيو انجلند القدماء فالثقافة تقرر أيضاً كيفية التعبير عن الأحاسيس الوجدانية . فجميع الناس يضحكون ويصرخون ، ولكن الثقافات المختلفة تحدد أساليب مختلفة من التعبير عن الأطياف الدقيقة للغضب والحزن والفرح والخجل وغير ذلك من مشاعر .

وتحدد الثقافة كيف نفكر فى العالم وكيف ندركه . وكل ثقافة تفرض شبكة رموزها على الواقع بحيث أن كل واحد منا يفهم هذه الحقيقة من خلال الرموز التى توفرها له ثقافته . والواقع أن الحقيقة لا توجد بالنسبة لنا إلا إلى الحد الذى جعلتها الثقافة عنده متاحة . وكما تقول دوروثى لى : « إن الثقافة نظام رمزى يحول الواقع الفزيائى ، أى ما هو هناك إلى حقيقة مخبورة [٩] » .

خذ شيئاً باعتباره مألوفاً كشجرة مثلا . إن الإنسان الحديث يعتبر الشجرة كشىء يستطيع أن يستخدمه للزينة وللزراعة أو لعمل غابات جديدة . ومن جهة أخرى فبالنسبة لهنود داكوتا بلاك « إلم » D.B. ELM فان الأشجار كانت أشخاصاً لها نفس الحق فى الأرض كما له الحق فيها . « إنها أناس واقفون حيث أخذ أولئك المجنحون منهم فى بناء الأكواخ وأخذوا فى رعاية أسرهم » .

خذ شيئاً آخر كشىء أساسى لتفسيرنا للحقيقة . إن الإنسان الحديث

يعتقد أن الأشياء قد احتلت أماكنها منفصلة فى المكان والزمان ، وأن الأحداث تقع منفصلة بعضها عن بعض فى تعاقبات سببية . بيد أنه بالنسبة لساكن جزيرة تروبرياند فان الحقيقة هى كل بغير تميز بين المكان والزمان. وليس ثمة انفصال بين الأشياء . فمن وجهة نظره فان الإنسان لايسير من نقطة إلى أخرى بل إنه دائماً فى نقطة واحدة . وجميع الأحداث تشكل أنماطاً وكل الأنماط تندمج فى كل واحد . وهكذا فبينما يكون الشىء بالنسبة لنا ذا معنى عندما يتسنى تفسيره علميا ، فبالنسبة له لا يكون ذا دلالة إلا إذا أمكن تكييفة لأحد الأنماط المعترف بها [١٠] .

ومهما كانت الثقافة صغيرة ، فليس من عضو بها يعرف معرفة تامة إرثها أو يكون متمكنا تماماً من جميع مناشطها . إن جميع الثقافات تعترف بشخص ما . فجميعها مثلا تقسم وظائف العمل بين الرجال والنساء . والمجتمع الكبير بوجه خاص ينقسم إلى طبقات تبعا للطبقة والوظيفة ، ويضيق بشكل واضح نطاق المشاكة الفردية فاصلا بين مجالات نشاط رجال الدين والمحاربين وأصحاب الحرف والإداريين وغيرهم .

أما المجتمعات المعاصرة الصناعية بما تشتمل عليه من حجم كبير ومن تمركز وتخصص بعيد المدى ، وبما تكدسه من معرفة واسعة فإنها بدورها تحد من مدى معرفة الفرد ومن مشاركته . ومن جهة أخرى فانها تنشد باطراد متزايد توسيع الفرص لتكدس الناس . وهكذا فانها تستخدم التربية لزيادة تقسيم الوظيفة (بالتدريب على الوظائف المتنوعة والتى تخترعها التكنولوجيا المتغيرة دون توقف) وتفتح أيضاً الطريق لحياة أكثر امتلاء .

انتقال الثقافة :

تنتقل الثقافة من خلال وسائل الاتصال بالرموز . فالإنسان كما يقول أرنست كاسيرر ليس مجرد حيوان عاقل ، إنه انفعالى كما أنه عاقل أيضا ،

بل إنه على الأصح حيوان رمزى أى المستخدم للرموز [11] والرموز لاتحل مباشرة محل الأشياء بل بالأحرى محل مفاهيم الأشياء . وهى خلافا للإشارات تستتبع القدرة على الفكر المجرد [12] فالمفاهيم بعد أن يعبر عنها فى لغة تصبح كلمات [13] والإنسان وحده يستخدم الرموز لأن الإنسان وحده يفكر بطريقة مجردة . أما الحيوان فإنه لايستطيع أن يميز بين الإشارة إلى شىء وبين الشىء نفسه [14] .

وهكذا فعالم الإنسان برمته مفعم بالرموز التى خلقتها الثقافة عن طريق اللغة إلى حد بعيد ، والواقع أن بعض المفكرين يتساءلون عما إذا كنا نخبر الحقيقة بطريق مباشر على الإطلاق . يقول كاسيرر مثلا فى فقرة شهيرة :

إن الإنسان لم يعد يعيش فى مجرد عالم فيزيائى بل يعيش فى عالم رمزى ، واللغة والأسطورة والفن والدين هى أجزاء من هذا الكون . . ولا يستطيع الإنسان أن يجابه الواقع مباشرة ، فهو لا يستطيع أن يراه كما هو وجها لوجه ، إن عليه أن يغلف نفسه فى صيغ لغوية وفى صور ذهنية فنية وفى رموز أسطورية أوفى طقوس دينية بحيث أنه لا يستطيع أن يرى أو يعرف شيئاً إلا بتدخل هذه الوسيلة المصطنعة [15] .

على أنه فى تصورى أن هذه النظرة مبالغ فيها . فمما لاشك فيه أن قدراً كبيراً من خبرتنا قد تتكيف وفق نموذج فى ضوء الثقافة ، ولكن كلما كان الإحساس أكثر شدة وأقل خضوعا للسيطرة كما هو الحال فى الخبرة الجنسية كان المضمون الثقافى إذن أقل . وأكثر من هذا هناك اختلاف بين الزعم بأن كل خبرة لها دعامة ثقافية وبين التأكيد الأكثر تطرفا وغير المقبول فى نظرى والقائل بأن كل خبرة مشكلة بوساطة الثقافة .

وعند هذه النقطة فالكلمة تأخذ ترتيبها فى اللغة ، التى ربما تكون أقوى العوامل التكييفية بالثقافة برغم أنها تبدو أقلها فعالية . فأى لغة تؤدى عددا

من الوظائف. فنحن من خلالها نصل إلى الأفكار والمعلومات ، ومن خلالها أيضاً نعبر عن أنفسنا وننفس عن انفعالاتنا ونغرى الآخرين بالتعرف والتفكير والإحساس بالطرق التى نفضلها . وأكثر من هذا فان اللغة هى وسيلة لتفسير الخبرة ، وتؤدى بنا إلى النظر إلى الواقع بطرق معينة ــ أعنى بالتأكيد على بعض ملامحه وبأن نقدر أن نميز فيما بينها . ويعكس بنيان اللغة بعض الفروض المعينة حول طبيعة العلم بحيث أن مفاهيمنا لا تكون مملاة من الأحداث الخارجية فحسب ، بل إنها تعكس جزئيا ما أدى إليه هذا البنيان بنا إلى ملاحظته [١٦] . هكذا فان صيغة الفاعل والمفعول به تحملنا على مشاهدة عالم الأشياء بخصائص ثابتة أكثر من مشاهدتنا له كعالم يمر فى عملية تغير . ونحن نؤكد وقد اعتدنا المنطق الأرسطى أن شيئا ما إما أن يكون موجوداً أو غير موجود . ونحن نشير إلى كينونات متمايزة بوضوح كالعقل والجسم ، وكالحسن والردىء ، بينما يبدو فى العالم نفسه أن الأشياء العقلية والفيزيائية ، الحسنة والرديئة مندمجة بعضها فى بعض بشكل معقد .

ويعتمد انتقال الثقافة على قدرة الإنسان النامية إلى حد بعيد على استخدام الرموز ، بل وعلى مرونته ومن ثم على قدرته على التعلم . والإنسان خلافا للحيوان الذى يستجيب إلى أكبر حد لبيئته بطريقة غريزية عليه أن يتعلم كيف يستخدم بيئاته ويتكيف لها . ولقد أجبرته عدم كفاية غرائزه من خلال المحاولة والخطأ على تطوير حلوله لمشكلات الحياة وعلى نقلها إلى ذريته الذين يعمدون بسبب افتقارهم إلى حلول غريزية من ذوات أنفسهم إلى ضرورة تعلم هذا التراث أيضاً بحكم الاضطرار . وكما يقول دوركايم :

إننا بقولنا إن الخصائص الفطرية هى فى مجموعها عامة جداً معناه أنها مطواعة جداً ومرنة جداً ، حيث إنها يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة جداً فالمسافة إذن بين الإمكانيات الفجة التى تكون الإنسان فى لحظة ميلاده وبين

الشخصية المحددة جيداً التى ينبغى أن يصير عليها حتى يتسنى له أن يلعب دوراً مفيداً بالمجتمع ، إنما هى مسافة لا يستهان بها .وهذه هى المسافة التى ينبغى على التربية أن تحمل الطفل على قطعها . هكذا نرى أن ثمة مجالا واسعاً مفتوحاً أمام تأثيرها (١٧) .

والواقع أن ما يبدو لدى الإنسان من عدم تهيؤ لمجابهة الحياة هو الذى يجعل تقدمه ممكنا. وبينما نجد أن كثيراً جداً من سلوك الحيوان يتحددبوساطة الغريزة التى لا يمكن أن تحسن طريقته فى الحياة فان الإنسان من جهة أخرى وهو الذى عليه أن يتعلم كيف يعيش ، يستطيع أن يتعلم كيف يعيش على نحو أفضل .

الثقافة من أجل الإنسان وضده :

إن الثقافة تعمل على تحرير الإنسان وعلى تقييده فى نفس الوقت، فهى تقيد حريته فى التصرف سواء من الخارج (من خلال القانون والتشريعات) أم داخلياً (من خلال العادة والضمير) حتى تخلق النظام الاجتماعى الضرورى للحياة الاجتماعية فى أية صورة . وهى تحد الإنسان أيضاً بألا تسمح له بأن ينمى سوى شريحة من طاقته الكلية . والواقع أن كروبير ينتهى إلى النتيجة المذهلة بأنه ما من ثقافة ترعى أكثر من ٢ ٪ أو ٣ ٪ من القدرة الإبداعية لدى الإنسان (١٨) . وبعض الثقافات تنمى النزعة الطبيعية لدى الإنسان للتعبد ، وبعضها تنمى ميله إلى الفن ، وماتزال ثقافات أخرى تنمى قدرته على الحرب . وتشجع ثقافتنا فيما تشجع رغبة الإنسان على تكديس الثروة وإظهارها فى موضوعات مادية (١٩) .

ومن جهة أخرى فان الثقافة تحرر الإنسان بأن توفر له حلولا جاهزة لكثير من مشكلاته ، وبهذا فانها تحرر طاقاته لأهداف أكثر إبداعية . وبفضل الثقافة فاننا نعرف ما يجب توقعه من الناس الآخرين وما يتوقعونه

منا . وبفضل الثقافة فإننا نعرف أننا والناس الآخرين تستخدم نفس المعانى لنفس الأشياء . وبفضل الثقافة فاننا نستغنى فى مناسبات لا حصر لها عن تحديد ما نعمله . ومن الثقافة نرث طرقاً متباينة للتعامل مع الحياة كاللغة والدين والعلم والطب والأخلاق . وهى الأشياء التى لم يكن بمقدورنا خلقها من خبرتنا الشخصية . وباختصار فان الثقافة تعطينا ما أسماه جوردون البورت « بالتخطيط المرتب سلفاً للحياة » [٢٠].

والثقافة تحررنا أيضاً بأن تخلق منافذ لطاقات الناس تمكنها من أن تتحقق على نحو مرض . فهى مثلا تثرى الخبرة الإنسانية بأن تمنح متعة ترويحية وجمالية كبدائل لمجرد الرضا بالرغبات العضوية . وإلى حد ما فانها أيضا تحرر الإنسان من خلال الطب والتكنولوجيا من طغيان الطبيعة ومن كدح العمل المضنى . فالطباعة والبنسلين والإذاعة والطائرة والتخدير — بل وكل ما تتسع له المخترعات الطبية والتكنولوجية — قد جعلت من الممكن تحقيق قدر من الحرية والراحة من الألم والتعب لم يكن بوسع الفرد على الإطلاق بغير مساعدة أن يحصل عليه .

وغالباً ما يكون نفس العنصر بالثقافة عاملا على التحرير والتقييد فى نفس الوقت — خذ مثلا اللغة — فهى من جهة تفيدنا لأنها تجبرنا على أن نحدث أصواتاً معينة وليس أصواتا أخرى ، وأن نراعى قواعد النحو وبناء الجملة والهجاء . ومن جهة أخرى تسمح لنا بأن نعبر عن أنفسنا بطريقة أو بأخرى . والواقع أن اللغة هى التى تميزنا عن الحيوانات وتحررنا من قيود الغريزة [٢١] .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحقق نفسه بغير الثقافة إذا لم يكن بمقدور الثقافة أن توجد دون أن تفرض قيوداً على تصرفات الأفراد ، إذن فالقيد الثقافى يجد له ما يبرره بقدر ما يؤدى إلى تحقيق الذات ، ولكن تستطيع ثقافات بالذات أن تفرض قيوداً أكثر من اللازم فهى تستطيع أن

تنشد النظام كغاية فى حد ذاته ، أو تعمل على الاستمرار بنظام طبقى ظالم . وهكذا فان القيود لاتكون متناسبة بعد مع تحققق الذات الذى تسمح به . فكلما كانت إحدى الثقافات محكومة بفكرة وحيدة ، زاد تقييدها لسلوك أفرادها فنجد أن هنود شمال غرب الباسيفيك يكرسون كثيراً من طاقتهم للحصول على الامتياز من خلال مظاهر الإسراف ومن خلال ضمان أتراب ممتازين لأطفالهم ، بينما يكافح هنود السهول لإحراز المكانة الإجتماعية من خلال مؤثرات الحرب . وكل من هذه الثقافات تقيد أفرادها بتوجيه طاقاتهم تجاه غاية ساحقة وحيدة .

الثقافة والشخصية :

إن أية ثقافة لا تستطيع الحفاظ على ذاتها ما لم يفكر أعضاؤها ويتصرفون على نفس النحو فى مواقف كثيرة مختلفة . ولكن ما الذى ينتج هذا التطابق ؟ إنه جزئياً استخدام المكافآت والعقوبات التى تشجع أشكالا معينة من السلوك وتعوق أشكالا أخرى . بيد أن عملية التثقيف بصفة رئيسية التى بواسطتها تصبح أنواع مختلفة من السلوك المكتسب ثقافياً مشبعة للحاجات الفردية — أعنى بتعبير آخر العملية التى بواسطتها تستحيل الأهداف غير الشخصية للثقافة إلى أهداف خاصة للأفراد . ويشكل هذا العامل الثانى ، أى التوافق بين الشخصية الفردية وبين جماع الثقافة مادة الموضوع لفرع من فروع الأنثروبولوجيا المعروف باسم الثقافة والشخصية[٢٢]

وعلم الثقافة والشخصية هو نقطة لقاء بين علم النفس والأنثروبولوجيا فهذا العلم يذكرنا بأننا لانستطيع أن نفهم سلوك الفرد فهماً جيداً بغير أن نأخذ فى أعتبارنا الوضع الثقافى ومقومات الثقافة ، ولا أن نفهم مؤسسات الثقافة بغير معرفة بالأفراد الذين يشاركون فيها . وهذا العلم يبطل ميل عالم النفس إلى التركيز على الفرد إما وحده وإما فى علاقته بأفراد مختارين قليلين هو يشير إلى أنه بينما كل شخص يستوعب بصورة مصغرة كثيرا

من ثقافته ، فان كثيراً من جوانب سلوكه ينبغى أن تفسر لا فى ضوء الفرد نفسه بل وأيضاً فى ضوء الثقافة سواء كانت بخارجه أم بداخله. وأكثر من هذا فبتقرير أننا نستطيع أن نلاحظ الثقافة فى سلوك الأفراد فحسب ، فان هذا العلم يتعادل مع ميل الفروع الأخرى من الأنثروبولوجيا فى فى التركيز على الأنماط المجردة من السلوك الفردى كما لو أنها تقوم بذاتها[٢٣].

والدافع الرئيسى لدراسة علم الثقافة والشخصية قد يأتى من التحليل النفسى الذى وجه انتباه الأنثروبولوجى إلى عوامل ثلاثة هامة : الانطباع العميق المتروك بوساطة الخبرات المتعلقة بالطفولة المبكرة على تكوين شخصية الراشد ، ثم مكانة الوالدين وغيرهما من معلمين كعوامل فى الثقافة ، ثم الحقيقة القائلة أن عملية التثقيف وهى المألوفة من قبل الأنثروبولوجى هى أيضا الباحث الرئيسى لشخصية الفرد .

ومع هذا فإن هيمنة التحليل النفسى لم تستمر دون أن ينال منها نقد الأنثروبولوجيين . فمثلا قد برهن أن أساليب وتصورات التحليل النفسى التى وضعت بالفعل لدراسة وعلاج الأفراد سيئى التوافق يجب أن يعاد النظر فيها بحيث تقوم بفحص المجتمعات التى تضم أشخاصاً أسوياء وسيئى التوافق على السواء . وثمة اعتراض آخر هو أن التحليل النفسى يعرض الأنثروبولوجى لرؤية إحباطات الثقافة أكثر من رؤيته للفرص التى تتيحها أمام تحقيق الشخصية .

لقد أدى هذا التحالف بين الأنثروبولوجيا وبين التحليل النفسى إلى ماكان ولا يزال إلى حد بعيد المقدمة المنطقية الرئيسية لفرع الثقافة والشخصية : وهى أن طرائق تدريب الطفل فى ثقافة بالذات إنما تنتج أو تساعد على إنتاج بنيان شخصية مطابق للقيم والمؤسسات الرئيسية للثقافة، وعلى الرغم من أن أولئك الذين يقومون بتربية الطفل قد لايدركون الطرائق التى يقومون باستخدامها فى الرضاعة وارتداء الملابس والتغذية أو وضعه

بالسرير للنوم فانها جميعاً تكيفه بحيث يسلك وفق قيم مجموعته وثقافته [٢٤] وهكذا فتبعاً لبعض الأنثروبولوجيين فان رواقية (الهندى الأمريكى) كانت نتيجة إلى حد ما للمهد (سرير الطفل) الصلب الذى كان يربط إليه كطفل ونتيجة العزل الفردى الذى مر بخبرته فى الطفولة . وعلى االعكس فان مجتمعات بوبلو فى نيومكسيكو وفى الأريزونا التى كانت بحاجة إلى جماهير متعاونة لإدارة نظمهم الخاصة بالزراعة والرى ، قد استخدمت مهدا مريحا حتى تربى مزاجاً أكثر استقراراً ومرونة [٢٥] .

بيد أن بعض الأنثروبولوجيين قد فسروا هذه البداية الأساسية بشكل أوسع واعتقادى أنه تفسير أكثر واقعية . فمثلا وليم سيول قد زعم أنالعامل الأساسى المسئول عن نمو الشخصية ليس بالضرورة الطرائق أو الوسائل المتعينة المستخدمة فى تدريب الطفل كأسرة المهد أو الأقماط بل بالأحرى « الموقف الكلى بين الفرد والمجتمع الذى تجد فيه هذه الممارسات تعبيراً لها »، بما فى ذلك اتجاهات وسلوك الأم [٢٦] .

ولكن على الرغم من أن خبرة الطفولة قد تضع الأساس لشخصية الراشد ، فانها لاتشكل تلك الشخصية برمتها بأية حال من الأحوال [٢٧] . فاذا ما استمسك المحلل النفسى بأن الطفل ينمو فى طمأنينة وتوافق جيد لأن والديه قد ربياه برفق وفى نطاق حدود متساهلة ، فانه مع هذا لايكون قد تلقى سوى الأساس لرشد متوافق توافقاً جيداً ، أما أنه يظل متوافقاً أم غير متوافقفان هذا يعتمد على الخبرة التالية . فطفل « النافاهو » مثلا يدلل إلى حد بعيد خلال السنتين الأوليين من حياته ! ومع ذلك فبسبب التقلبات الحالية بقبيلته ! فانه يتسم بأنه قلق جداً كراشد .

بعض الطرائق التقليدية فى دراسة علم الثقافة والشخصية :

إن التأكيد الرئيسى فى علم الثقافة والشخصية كان وما يزال على جانب

(*) أى قدرته على كبت الألم وتحمله (المترجم) .

الثقافة – أعنى على المدى الذى تشكل عنده الثقافة شخصيات أفرادها لمجابهة حاجاتها الخاصة (٢٨) . وتبعاً لهذه النظرية فان السنوات الأولى من العمر هى التى تشكل نمط الشخصية الناضجة ، ومن ثم فان الطفولات المتشابهة سوف تنتج شخصيات راشدة متشابهة . وحيث إن الثقافة تحدد ما سوف يقوم الوالدان بتعليمه لأطفالهم وبأية طرق يتم ذلك ، فاننا قد نتوقع أن كل ثقافة تنتج نمط شخصية متمايزة . فمثلا تحتاج الثقافة المتغيرة بسرعة إلى شخصية متحركة وديناميكية وتعمل على خلقها حتى بالرغم من أنها قد تخلق أيضاً عدداً من الأشخاص غير المنتظمين أو المنهارين تحت ضغط التغير . ففى أمريكا تدين هذه الشخصية المتحركة بالكثير إلى نوع من التدريب المتداخل فى كل من البيت والمدرسة اللذين يسمحان له بالنمو بسرعته الخاصة حسب استعداداته إلى حد بعيد (٢٩) والراشدون بالتالى يميلون إلى استمرار هذا النمط من الشخصية وذلك بتنشئة أطفالهم بوجه عام حسب الطريقة التى نشأوا هم وفقها .

وهكذا فان الثقافة تشكل الفرد بحيث يساهم فى طرق الاعداد لها ، وبالدرجة الأولى وبطريقة لاشعورية لدعمها والامتداد بها . والثقافة فى سياق تثقيف الفرد تحيل حاجاتها الخاصة إلى دوافع داخلية لدى أفرادها . فالصناعة الحديثة على سبيل المثال لم يكن لها أن تنشأ بأية حال إذا كان على المجتمع أن يجبر الناس على أن يراعوا الدقة فى المواعيد وأن يحافظوا على النظام وأن يعملوا بجد واجتهاد . لقد كان التثقيف ضرورياً لتحويل المتطلبات الموضوعية للصناعة إلى دوافع فى دخيلة الناس أنفسهم –أعنى خلق « طابع اجتماعى » من خلال الأسرة والمدرسة يستطيع أن يجاهد فى هذه الاتجاهات (٣٠) .

الاتجاه التشكيلي :

هذا الاتجاه ينشد إقامة علاقة بين أنماط الثقافة الأساسية وبين أشكالها الأساسية[٣١] . وقادة دعاته هما روث بنيديكت ومارجريت ميد . فبنديكت تؤكد أن الثقافة التي تنضوى تحت التشكيل يمكن أن ترتبط بنمط متميز للشخصية يؤثر فى رعاية ونمو وتعديل كثير من العناصر الواقعة فى نطاق الثقافة . وهى كقاعدة عامة تعرف هذا التشكيل باستخدامها المصطلحات التي يستخدمها علماء النفس مع الأفراد وتطبقها على السكان برمتهم[٣٢] .

وفى كتابها المسمى « أنماط الثقافة » تصنف جماعة الدوبو « كمصابين بجنون الاضطهاد » ، كما تصنف الكواكيوتيل « كمصابين بجنون العظمة » على الرغم من أنها تنعت الزونو بالنمط « الأبولونى » وهنود السهول بالنمط « الديونيسى » .

وبينما تطالب بينيديكت بنمط شخصية واحدة لكل ثقافة ، فان ميد تكشف النقاب عن عدة أنماط[٣٣] . فهى تعلن أن هناك فى كل ثقافة مدى فطرياً من الأنماط المزاجية ، وراثية وتكوينية لا يسمح إلا لقليل منها بالنمو ، وتلك التي تتمشى مع الأشكال الأساسية للثقافة . وكنتيجة لذلك فان الأمزجة ، وهى المرنة بدرجة كافية لدى الميلاد إنما تتشكل حسب أنماط الشخصية المسيطرة بالثقافة ، بحيث « يلائم ؛» fit معظم الراشدين الأنماط التي تتطلبها الثقافة[٣٤] .

الاتجاه المشروط :

إن بعض الكتاب مثل إبرام كاردينر ينظرون إلى الشخصية الأساسية لا على أنها نمط سيكلوجى متكيف مع القيم السائدة بالثقافة ، بل بالأحرى على أنها نمط قائم على أمزجة لا شعورية معينة (تجاه الوالدين بصفة خاصة) وتتشكل بوساطة المؤسسات الثقافية الأولية كطرائقها فى تدريب الطفل

وتنظيم الأسرة بها[٣٥] . وتستمر هذه الأمزجة خلال الحياة إذ أنها تنعكس على الناس الآخرين وعلى المواقف وعلى المؤسسات الثقافية الثانوية كالفن والدين والقانون والحكومة والأساطير .

بيد أن رالف لينتون قديماً قد أكد أن الشخصية الأساسية الناتجة قد تتعدل بالمكانة والأدوار التى يتخذها الشخص كراشد[٣٦] . والواقع أن هذه المكانة والأدوار قد تنتج أنماطاً فرعية متمايزة أو أطيافاً من ثقافة الشخصية المتميزة .

وهكذا فان كل فرد له « شخصية أساسية » تتشكل من عموميات ثقافية تعلمها خلال الطفولة ، ومن عدد من «شخصيات لها مكانتها » مناسبة للأدوار التى يلعبها مهما كانت[٣٧] .

الاتجاه الاجتماعى :

تعكس دراسة دافيد ريزمان للسلوك تأثير الاتجاهات التى سبق ذكرها حيث إنها تذهب إلى أن شخصية الراشد تكون ثابتة بوساطة الأنماط الاجتماعية بالطفولة والمراهقة التى تعكس بدورها مطلب الثقافة .[٣٨] وهو يدرس فى كتابه « الجمهرة المعزولة » النتائج الاجتماعية والسيكلوجية للانتقال من مجتمع صناعى قديم إلى مجتمع غنى — وهى نتائج يمكن أن تشاهد بأكثر وضوحاً فى نمط الحياة للطبقة الوسطى الأمريكية المتمدنة . وهو يقول إنه فى مجتمع غنى فان الآباء يكونون أكثر تساهلا ويفرضون سيطرة مباشرة أقل على أطفالهم . وهكذا فان الطفل يميل إلى عدم تشرب قيم قوية من والديه ، بل بالأحرى يأخذ مستويات تقويمه من أترابه وهو ينمو إلى شخص راشد بمبادىء خلقية غير مغروسة بقوة فيه ، ويستمسك تقريباً بعادات المجموعة التى ينتمى إليها .

ويميز ريزمان بين ثلاثة أنماط من الشخصيات الناتجة بوساطة ثلاثة أنواع من المجتمعات .

أولا — « الإنسان الموجه بالتقاليد » بكليته فى القبيلة البدائية ، وهو لا يكاد يعرف نفسه كفرد متمايز من مجتمعه . فما هو عليه وما يريده إنما يتحددان كلية تقريباً بمجتمعه المحلى . « والإنسان الموجه بالتقاليد » مثل بورجوازى القرن التاسع عشر فقد تشرب بمعايير ثقافية غرست فيه بالبيت والمدرسة ، بحيث يصبح مفكراً فيها كمعاييره وينافح بشدة لكى يحققها .

ثانياً — « الإنسان الموجه من قبل الآخرين » ويوجد بشكل متزايد بالطبقة الوسطى الأمريكية وإلى حد ما بالطبقات الوسطى بالشعوب الصناعية الأخرى وهو يستوعب قيمه من معاصريه . فجميع الأهداف التى يقيمونها الناس إنما تنبع من ثقافتهم ، ولكن بينما نجد إنساناً تشرب هذه الأهداف ولكن بتوجيه من دخيلته ، فان تلك الأهداف المنشودة من جانب الإنسان الموجه بوساطة الآخرين تكون خارجة عن نطاقه ، وبالتالى فانه يكون أكثر اعتماداً على المجموعة التى تتمثل فيها . وحيث إن الإنسان الموجه من دخيلته يكون مقتنعاً بصحة أهدافه ، وهو يستطيع أن يغضى عن مطالب أترابه ، وليس هذا شأن الإنسان الموجه بوساطة الآخرين ، الذى يفتقر إلى وضع أهداف لذاته ، والذى يوائم بين معاييره وبين تلك المعايير الخاصة بالمجموعات التى يعيش فى نطاقها ويعمل بها .

وريزمان فى تأكيده لسيطرة الثقافة على الفرد يتبع الاتجاه التقليدى فى علم الثقافة والشخصية . وكل من الاتجاه الداخلى والتوجيه من قبل الآخرين شأنهما شأن الاتجاه التقليدى من حيث إنهما نمطان للتطابق أحدهما للآباء الداخليين ، والآخر لمجموعة الأتراب الخارجيين . وعلى

الرغم من أن ريزمان متفائل بوجه عام فى وجهة نظره عن أمريكا المعاصرة فانه أقرب لفرويد فى كتابه Civilization and Its Discontents أكثر من اقترابه من الفرويديين المحدثين أمثـــال اريتش فروم وكارن هورنى وذلك عندما يعرف الفرد الاجتماعى فى ضوء ما يمنعه مجتمعه من فعله[٣٩] . ودراسة ريزمان على عكس دراسة فروم الذى يعتقد أن الثقافات فى حد ذاتها ضرورية لمجابهة حاجات الإنسان العميقة للغاية (على الرغم من أن ثقافات معينة قد تعوق أخرى) فى أنه يرى أن الثقافة بالضرورة مناهضة للفردية ولدوافع الناس الأساسية[٤٠].

نقد الطرق التقليدية :

إن الاتجاهات التقليدية بزعمها أن وجود أنماط ثقافية له دلالة كافية على بنيان شخصية مناظر لأولئك الذين يشاركون فيها إنما يغفلون احتمال أن الناس قد يتطابقون مع هذه الأنماط بغير أن يكونوا حائزين بالضرورة على الصفات المناسبة لهم[٤١]. وأكثر من هذا فان أحد المجتمعات لا يحصل بالضرورة على نمط الشخصية الذى يكون بحاجة إليه[٤٢] وليس هناك من الشخصيات الأساسية التى جمعها الانثربولوجيون من المعلومات عن الأنماط السائدة بالثقافات المختلفة ما أظهر فى الواقع أنه يشكل غالبية بين السكان موضوع الاهتمام[٤٣]. والواقع أنه لم يتوصل بعد فى أى مجتمع إلى الشخصية الأساسية لأية مجموعة نسبية من السكان ممثلة إحصائيا .

وأكثر من هذا ، من الصعب أن نرى كيف أن هذه الشخصية أمكن إثباتها على الإطلاق فى أى مجتمع حديث معقد[٤٤]. وتقلل الاتجاهات التقليدية أيضا المدى الذى تمكن عنده الثقافة (أو على أية حال بعض الثقافات) الفرد من تنمية قدراته الفريدة . وتوجه هذه الاتجاهات بتأكيدها على الجوانب السلبية المقيدة من الثقافة اهتماما قليلا إلى الفرص التى تتيحها للتحقيق الذاتى الخلاق[٤٥] . وأكثر من هذا ففى التأكيد على التشابه فى طرائق تدريبها

لطفل عبر مجتمع ما ، فانما تقلل من قيمة التشكيلة المدخلة فى تكوين الشخصية بوساطة الحقيقة القائلة إن كل أب ينقل الثقافة بطريقة مختلفة قليلا وهى أيضا تغضى عن الحقيقة القائلة بأن كل شخص يفسر الثقافة التى يتلقاها فى ضوء مزاجه الشخصى وتاريخه الخاص به [٤٦] وهذه التباينات بانتقالها تمهد الطريق لتباينات أبعد مدى وذلك لأن كل شخص بدوره يساعد فى مجتمعية الأفراد، سواء كان أباً أو مدرساً خصوصياً أو صاحب عمل[٤٧].

والطرق التقليدية تقلل أيضاً من قيمة المدى الذى يصل إليه المضمون الاجتماعى — أعنى متطلبات الأدوار والمواقف المختلفة — فى تأثيره فى سلوك الشخص . فالمدرسون مثلا يميلون إلى التلبس بسمات مهنتهم . والواقع أنهم يتأثرون بالصف الذى يدرسونه . وهكذا فان أسلوب السلوك اللين الذى تتخذه مدرسة الابتدائى عادة إنما يصبح بعد فترة جزءاً من شخصيتها . أما المدرسون بالصفوف الوسطى الذين يوجهون أطفالا ناضجين جدا اجتماعياً بحيث لا يمكن ترويضهم بسهولة ، وصغاراً جداً انفعالياً بحيث لايمكن الاحتكام إليهم فانهم يكتسبون شخصية فى توقع دائم لمقابلة المتاعب، أما المدرسون بالصفوف العليا الذين يقل التحدى لسلطتهم ، فانهم يكونون أكثر ليناً وأكثر استرخاء [٤].

اتجاهات جديدة :

لم تظهر حتى الآن مدرسة فكر متميز يمكنها أن تتحدى الاتجاه التقليدى . ومع هذا ففى السنوات الحديثة علت صيحات جديدة تؤكد تنوع أنماط الشخصية فى نطاق الثقافة ، وقدرة الفرد على تفسير المعايير الثقافية التى يستوعبها . ولعلنا نتناول اتجاهات جورج ديفريه وأنطونى والاس وكلاهما أنثروبولوجى وأيضاً جوردون أولبورت وهو عالم نفس .

ففى مقابل وجهة النظر التقليدية القائلة بأن السلوك الممكن قبوله ثقافياً

هو نتيجة لتشرب معايير ثقافية فى الطفولة والمراهقة ، فان ديفيريه يؤكد أن نشاطاً ما مثل الذهاب إلى الكنيسة لا يحتاج بالضرورة إلى إشباع دافع وحيد أو دافع مغروس ثقافياً . إنه فى الواقع قد يشبع مدى واسعاً من الدوافع الذاتية الأصيلة[٤٩] . وهو يشير مثلا إلى الدوافع المتعددة التى أدت ببعض الأفراد بالمحر إلى القيام ضد الروس فى عام ١٩٥٦ . وبالمثل فان دافعاً أو أكثر قد يزود بالقوة مجموعة من المناشط المسموح بها ثقافياً . وإذا كان التجانس الثقافى نابعاً من دوافع شخصية وليس بالضرورة من معايير متشربة بالشخصية ، فينتج عن هذا ضمناً أن دور السلوك أيضاً قد يستنهض لا بوساطة متطلبات الدور ذاته ، بل وأيضاً بوساطة سلسلة من الدوافع[٥٠] . فأحد المدرسين مثلا قد يدرب على السباحة بعد ساعات المدرسة ليس فقط لأنه يعرف أن مدى من النشاط خارج المنهج يتوقع منه بل أيضاً لأنه يستمتع بالاسترخاء مع تلاميذه ، أو لأنه لا يريد أن يذهب إلى بيته ، أو لأن هذا يذكره بشبابه أو لعدد آخر من الأسباب .

وتبعاً لأنتونى والاس فان الشرط الأساسى للتطابق الثقافى ليس وحده الاهتمام أو الدافع بل بالأحرى الحقيقة القائلة بأن كل شخص إنما يعرف ما هو مطلوب فى ظل ظروف متغيرة ، ولذا فانه يميل إلى السلوك وفق ذلك . وهذا بدوره يحدث لأن أفراد أحد المجتمعات بفضل مشاركتهم فى ثقافة عامة وتربية عامة إنما يتعلمون أشياء متماثلة ويشاركون فى صورة مشابهة لثقافتهم مهما كان اختلافهم فيما قد يفسرونه من جوانب منها بالذات. وبتعبير والاس إنهم يشاركون فى «متاهات» متكافئة ، والمتاهة هى «الكل المنتظم المشكل من معان مكتسبة يأخذ بها كائن حى فردى فى وقت ما ... أما الخريطة المعرفية للعالم الخاص بالفرد إنما يكون قد نفخ فيها بانتظام بوساطة مثيرات مدركة ومتذكرة » . والثقافة تعمل عملها جيداً إذا كانت متاهات أفرادها متضمنة « معان تتعلق بمعان قياسية إما متطابقة وإما مجرد متكافئة »[٥١] . والواقع أن نظرية والاس هامة لأنها تتضمن نظرة أكثر كرماً بصدد

الحرية الإنسانية أكثر مما تفعل الطرائق التقليدية . فهى تنظر إلى الفرد باعتبار أنه أقل خضوعاً للدوافع الثقافية المشروطة ، وبذا فانها أكثر قدرة على البت الذهنى .

وفى مقابل التأكيد الصادق على التأثير التشكيلى لخبرة الطفولة ، فان جوردون أولبورت يزعم أن هناك فى الواقع ثلاث مراحل فى تقبل الشخص لمعايير أو « نموذج » ثقافته : (١) قبول النموذج الثقافى(٢) الثورة ضده ، (٣) « التلبس بالنموذج المراجع باعتباره مناسبا بالدرجة الأولى للشخصية الناضجة[٥٢] » . فمثلا بين عمرى الخامسة والعاشرة فان الطفل يميل إلى أن يكون مستمسكاً بالأخلاق بصرامة ، مؤكداً أن كل مباراة يجب أن تلعب تبعاً للقوانين ، وأن تقال كل قصة كما قيلت قبلا . ومن جهة أخرى ففى المراهقة نجد أنه يثور وغالبا ما تكون ثورة عنيفة ضد عادات أبويه ومدرسيه وغيرهم من راشدين . وأخيراً فانه كراشد يقوم بدمج العناصر التقليدية بثقافته بتفضيلاته الشخصية البحتة ، منتهيا إلى إنتاج شخصية متمايزة مشابهة فى جوانب كثيرة لشخصيات الأعضاء الآخرين بمجتمعه ، ولكنها أكثر فردية وأكثر اصطناعا من جانبه مما يمكن أن يعترف به دعاة الاتجاهات التقليدية .

الثقافة والشخصية والتربية :

من الضرورى لكى نفهم أو نؤثر فى التغير الثقافى أن نعرف إلى أى مدى تؤثر نماذج الشخصية فى التطور الثقافى مثلما نجد على سبيل المثال فى قبول أو رفض المبتكرات . فالشخص الذى يلتزم منذ صغره بقيود ثقافية قد يقاوم التغييرات التى تتم فى اتجاهات لا تقرها ثقافته ولكنه قد يرحب بالتغير فى النواحى التى تلائم ثقافته . كما يجب أن نفهم أيضا أثر التغيرات الثقافية على نماذج الشخصية ، وتشمل أى تغيرات قد يدخلها التربويون أنفسهم ، ولكى نفهم ذلك من الضرورى أن نعرف إلى أى مدى

يساهم التعلم – والتعلم الرسمى بخاصة – فى تشكيل الشخصية وإلى أى مدى تتشكل الشخصية قبل أن يحدث التعلم الواعى .

ويعتقد أغلب التربويين أن المدرسة تلى البيت كوسيلة من أهم وسائل التأثير فى مجرى الثقافة من خلال تعديل نماذج الشخصية . إلا أنه لو أراد التربويون الأخذ بهذه النظرة واستخدام المدرسة وسيلة لتحقيق تأثير ملموس ومحسوس فى الثقافة الأم للزمهم أن يتكون لديهم فكرة واضحة راسخة عن العلاقة المتبادلة بين الشخصية والثقافة . وهذا أكثر مما يتوفر لعلماء الإنسانية حتى الآن . وأكثر من ذلك فحينما تستقر نماذج الشخصية القومية الأساسية نهائياً (وهى عقبة غير عادية وربما مهمة مستحيلة) فيتبقى بعد ذلك أن يقرر التربويون وغيرهم ما إذا كان من المرغوب فيه أم لا تغيير تلك النماذج . ولم يتفق التربويون فى الوقت الحالى حول نماذج الشخصية المرغوبة والممكنة . فالتقدميون مثلا يؤمنون بامكان تطوير شخصية حراكية تتكيف مع الثقافة السريعة التغير بينما التربويون المحافظون يتمسكون بأن السرعة ذاتها والشمول المميز للتغير يجعل الشخصية المستقرة الثابتة لازمة فى الوقت الحاضر إلا أن الثقافة والشخصية تبتعدان عن تأكيدهما المتطرف السابق على الأثر الرسمى لتدريب الطفل إلى نظرة تعطى أهمية للمؤسسات الحديثة وظروف الحياة . ويؤيد هذا التحول فى النظرة فكرة أن التربية لا يمكنها أن تغير الخصائص الثقافية أو تعدل من نماذج الشخصية إذا لم تتغير النواحى الثقافية الأخرى كذلك . ويتهم كلوكهون مثلا المذهب التقدمى بأنه يحاول إعادة صياغة الشخصية القومية بدون تحول ثقافى عام لذلك فإن الطلبة أما أن يهجروا النظرة التقدمية للأشياء حالما يتركون المدرسة أو أن يصارعوا يائسين الثقافة بأكملها[٥٠] فقد يبدو التنافس على سبيل المثال خطأ فى بعض الأحوال ، إلا أن التربويين لا يمكنهم السعى إلى تكوين شخصية غير تنافسية يقدر لها البقاء لأن التنافس هو عصب الحياة عندنا .

ويتفق المفهوم التقليدى فى دراسة الثقافة والشخصية مع ما يؤكده

التربويون التقدميون فى ناحية واحدة ألا وهى الاقتناع بأن التعليم الابتدائى وليس التعليم الثانوى هو أكثر الفترات حيوية وتأثيرا على نمو الشخصية . إلا أن هناك اختلافاً فى أغلب الأمور الأخرى فان المفهوم التقليدى لا يتفق مع التقدمى وبخاصة فى افتراض الأخير أن الثقافة تتجه لتشكيل شخصية الفرد ليواجه احتياجاته بحيث لا تتاح أمام الطفل الفرصة لينمو وفقاً لاهتماماته الذاتية . ويتفق المفهوم التقليدى مع النظرة الطبيعية والسلوكية فى أن الطفل مرتبط ببيئته ، ولهذا فان أمامه فرصة ضئيلة لتوجيه ذاته . وقد يختلف المفهوم التقليدى فى نظرته النسبية فى أن كل ثقافة تصنع شخصية متميزة لمواجهة احتياجاتها الخاصة مع المدرسة التواترية ، ولكنه لا يختلف بالضرورة مع مذهب الجوهريين (٥٤) .

ويتفق المفهوم الحديث مع مفهوم التربويين التقدميين والوجوديين لأنه يؤكد تنوع الشخصيات فى ظل ثقافة واحدة (٥٥) . فنجد أنه يقلل من الارتباط بالقديم ، ويؤكد حرية الاختيار الشخصى ، فانه من الواضح يؤكد دور العقل فى النمو الشخصى (وينطبق هذا على آزاء والاس) ولذلك يؤكد نفسه فى مذهب التواترية .

لقد بحثنا فى هذا الباب قليلا من كثير من الطرق الغريبة تماماً التى تؤثر بها الثقافة على أفكار وأفعال أهلها . وقد أدى بنا هذا البحث إلى طرق فرع من فروع علم الإنسان يعرف (بالثقافة والشخصية) وكذلك بعض النظريات محل النقاش التى نتجت عنه ، وكلما تقدم بنا نص الكتاب فلدى الكثير مما أقول فى موضوع العلاقات بين الثقافة والشخصية والتربية . وسأمهد للقارىء فى ذات الوقت فهما متزايدا للتربية وعلاقتها بموضوعنا بمقارنة الأساليب التربوية فى المجتمعات الحديثة والبدائية .